"تقعيد قاعدة نحوية"

تعليق على تعليق

الأستاذ صبحي البصام

شفيلد

قرأت تعليقات الأستاذين العلامة الشيخ حمد الجاسر والدكتور إبراهيم السامرائي والدكتور جعفر عبابنة على مقالتي (تقعيد قاعدة نحوية). وأنا معلّق على تعليق الدكتور جعفر عبابنة بما هو آتٍ:

١- أراد الأستاذ الفاضل أن يهدم قاعدتي النحوية بقوله (إنها قد تكون خطأ)، وهكذا باستعماله (قد). وهذا منه تظنٍّ، وقد بنى على تظنيه هذا ثلاثة أمور وكأنها حقائق:

أ- قال (ص٢٣٩ س٥) في (شرقي) ونحوها: بأنها قد تختلف في معناها عند الإضافة عن (شرق) ونحوها. وقال: (إن شماليّ العراق هو الجزء الشمالي من العراق) هكذا، أي لا يعني غيره)، وهذا غير صحيح بدلالة قول الطرماح (الشعر والشعراء ٥٦٨/٢).

فخرت بيوم العقر شرقيّ بابلٍوقد جبنت فيه تميم وفرّتِ

والعقر ليس جزءاً من بابل، وهو بعيد منها، وبدلالة قول الفيروزآبادي (القاموس- العمود): (والعمادية قلعة شماليّ الموصل)، والعمادية ليست جزءاً من الموصل وهي بعيدة منها، وقد اتسعت بعدُ وصارت مدينة لها شأنها. وهذان الشاهدان مذكوران في مقالتي (تقعيد قاعدة نحوية) فكيف غفل عنها الأستاذ الناقد؟

ب- وقال (ص٢٣٩ س٥ و٦): (إن معنى شمال العراق هو الجهة التي تقع خارج العراق) أي لا تعني إلا هذه الجهة، وهذا غير صحيح بدلالة قول المتنبي (سرقات المتنبي ومشكل معانيه ص ١٠٣):

قُصِدَتَ من شرقها ومغربها حتى اشتكت الركابُ والسُبُلُ

أراد من شرق الأرض ومغربها، وكلاهما جزء من الأرض. وبدلالة قول لسان الدين بن الخطيب:

ضاق عن وجدي بكم رحب الفضا لا يبالي شرقه من غربِه

وشرق الفضاء وغربه جزآن من الفضاء. وبدلالة قول ابن البيطار (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ١/١٧٨): (... وهي تربة العسل عند أهل شرق الأندلس). وبيّن أن شرق الأندلس جزء من الأندلس. وهذه الشواهد أيضاً مثبتة في (تقعيد قاعدة نحوية)، فكيف خفيت عن نظر الأستاذ الناقد؟

ج- وقال (ص٢٣٩ س ٦و ٧): بأن إضافة الجهات المنسوبة قد تكون للملاصقة أو المقاربة، فأقول: إن الجهات إذا نسبت أو لم تنسب قد تكون بداخل موضع أو قريباً منه أو بعيداً منه. وفي الشواهد التي جئت بها في (تقعيد قاعدة نحوية)، وقد زادت على خمسين شاهداً ما ينفي قول الأستاذ الناقد.

٢- وقال (ص٢٣٨ س ٥و٦): (فأصله جلست مكاناً شرقيّاً من الدار)، وذلك سهو منه؛ لأنه لا يُقال: (جلست مكاناً)، بل يُقال: (جلست في مكان) أو (بمكان) لأنّ جلس فعل لازم.

٣- وقال: (ولا يخلو هذا البحث من فائدة على الرغم من أن القاعدة التي يأتي بها قد تكون خطأ).

والتوجه أن يقول: (القاعدة التي أتى بها) باستعمال (أتى) لا(يأتي) وليس هذا موضع دلالة المضارع على الماضي.

٤- وقول (على الرغم) في نصه المذكور آنفاً، الوجه فيه (على أن القاعدة) أو (مع أن القاعدة)، لأن (على الرغم) الأعم الأغلب فيها أن تستعمل للعاقل، كقول الأعشى:

يراك الأعادي على رغمهم تحلّ مكاناً عليهم عويصاً

وكقول ابن مقبل (أساس البلاغة- عذق):

وفي غطفان عذقُ عزّ ممنّعٌ على رغم أقوام من الناس يانعُ

أما غير العاقل فيستعمل له (على) أو (مع). قال تعالى (الرعد/٣٧): "وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم"، ولم يقل على الرغم من ظلمهم. واستعمل أبو حيان التوحيدي (على) و(مع) في الإمتاع والمؤانسة (٦٢/٢) وجعلهما في عبارة واحدة قال: "فإن الدُرة مع صغرها أنفع من الصخرة على كبرها"، ولم يقل على الرغم من صغرها ولا على الرغم من كبرها. وفي جمهرة اللغة لمتمّم بن نويرة:

فلما تفرّقنا كأني ومالكاً لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

وقال ابن دريد في (الطول): "أي مع طول اجتماع". قلتُ: عندي، إن اللام مختصرة من (علي). على أنّ (على الرغم) وما هو من لفظها نحو (برغم) استعملها جماعة من الشعراء القدماء لغير العاقل ضرورة أو لفنّ شعري، أما الكتاب الفصحاء

وغيرهم فلم أر أحداً منهم استعملها. ونحن في العصور الحديثة أخذناها بالترجمة من عبارة إنجليزية هي (In Spit Of) وهي عندهم خاصة بغير العاقل كالعقبات والمشكلات.

٥- وقال: "الجهة التي تقع خارج العراق"، والوجه أن يقول (بخارج العراق). قال الشريف الإدريسي في كتاب (وصف الهند وما يجاورها من البلاد ص٤٤) في بعض المدن: "وبخارجها خندق محفور"، وقال ابن بطوطة في كتاب (رحلة ابن بطوطة ص١٥): "وصلنا مدينة الجزائر وأقمنا بخارجها أياماً". وسهو الأستاذ الناقد كسهو الدكتور طه حسين في حديث الأربعاء (ص٦٥٣) وهو قوله: (حظّ في الجامعة.. وحظّ خارج الجامعة) والوجه (بخارج الجامعة).

وفي الختام أشكر الأستاذ الناقد اهتمامه بقاعدتي النحوية ونقدها. وإن كنتُ ذكرتُ فوائته في الأمور الخمسة المذكورة في كلمتي هذه فكلّنا ذو فوائت، والحسامُ قد ينبو، والجواد قد يكبو. إن قاعدتي النحوية ما تزال راسخة والحمد لله. أسأل الله أن يُصلح علمي، وأن يسدّ خللي، وأن يأخذ بيدي لأخدم لغة قرآنه.